التيار الجهادي الأردني حصاد عقد من الصدامات (3)

16-10-2004

الذي يدفع أبناء التنظيم إلى الاستمرار فيه رغم كل الصعوبات وانسداد أفاق الفرص السياسية في كثير من الأحيان، وكيف يتجرءون على القيام بالعمليات المطلوبة رغم أنها في كثير من الأحيان تكون خطيرة وقد تؤدي بحياة صاحبها؟..الجواب ببساطة هو "العقيدة" التي يعتنقها الأفراد

بقلم محمد سليمان

4- أدوات التجنيد

تغيب الطبيعة المؤسسية عن تيار الموحدين وجماعاته المنتشرة في مناطق مختلفة من المملكة، وذلك لعدة اسباب أبرزها الطابع السري والعسكري والهلامي لهذا التيار، لذلك فإنّ قراءة أدوات التجنيد والتنشئة والعلاقات الداخلية بين الأفراد تبنى غالبا على المعلومات الواقعية، والشهادات الشخصية. في حين بمكن قراءة المفاهيم الحاكمة في خطاب هذا التيار من خلال كتابات أبرز رموزه: المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني، أبو بصير، ومن خلال المواقف السياسية التي يمكن استنتاجها من مسار واتجاهات حركة التيار على الساحة الأردنية ..

لابد من التأكيد ابتداء على أهمية الظروف العامة لتتوافر عناصر التجنيد السياسي؛ فالظروف السياسية تشكل الرافعة الموضوعية، لتبرير الدعوة إلى الجهاد والحلول الراديكالية طالما أن هناك غزوا أمريكيا غربيا واحتلالا إسرائيليا (يقدم في خطاب هذا التيار على أنه غزو صليبي صهيوني مشترك قادم إلى المسلمين)، وطالما أن هناك ضعفا عسكريا وسياسيا عاما وعدم قدرة على التصدي له من قبل النظم الحاكمة، فهناك –في المقابل- "محفز موضوعي" للشباب المتحمس -وهو من توجد لديه القابلية والاستعداد- للقيام بالعمل العسكري، للتخفيف من حالة الغضب الشديد والشعور بالعجز أمام هذا الواقع الذي يتعرض فيه العالم العربي لإهانة سياسية كبرى. كما تشكل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التربة الخصبة لوجود العنصر المستعد لتقبل هذا الفكر، خاصة في ظل مجتمع فتي أغلب عناصره من الشباب الذي يواجه مشكلة البطالة وانعدام فرص العمل، ناهيك عن "سؤال الهوية" الذي يدفع الشباب إلى التعبير عن هويته من خلال الالتزام الديني، وكلما زادت مظاهر الحداثة في المجتمع والانفتاح الثقافي كلما انعكس ذلك وشكل صدى لدى الشباب في حركة مضادة تتخذ طابع الرفض للحداثة الثقافية والاجتماعية والإصرار على مظاهر التدين بشكله القسري المتشدد.

يتشكل العمود الفقري لتيار الموحدين من الشباب المتحمس ذوي الثقافة المتدنية أو المتوسطة، أو طلاب العلوم الشرعية البعيدين عن القراءات الإنسانية، ومن أبناء الطبقات الدنيا أو بقايا الطبقة المتوسطة الذين يحملون هاجسا تجاه التطور القادم، وتتم عادة عملية التجنيد السياسي بعدة أدوات أبرزها الخطاب العام في التجمعات؛ إذ ينشط الدعاة والوعاظ من هذا التيار في حضور المناسبات الاجتماعية والمشاركة فيها والتعبير عن رؤاهم الدينية في الأفراح والأتراح والجلسات العامة، ويتفاعلون مع المجتمع ويتواصلون معه، وعادة ما يجتذب هذا الخطاب الراديكالي قطاعات واسعة من الرأي العام -الذي يمتاز في دول العالم الثالث بالسطحية والتطرف والتقلب-، وفي تقديري أن كثيرا من الناس يتجاوبون عاطفيا مع هذا التيار وطرحه الراديكالي خاصة على الصعيد السياسي، لكنهم لا يملكون الجرأة على تأييده أو مناصرته علنا، في حين يوجد الاستعداد والقبول لذلك لدى عنصر الشباب.

ومن أدوات التجنيد المهمة الدعوة الفردية في المجتمع، والنشاط الحركي في المساجد من خلال التأثير على المصلين الشباب، وكذلك من خلال الدورات الصيفية وتنشئة الطلاب الصغار على هذه المفاهيم، وبالإضافة إلى هذا وذاك فإنّ صلات القرابة في مجتمع عشائري تلعب دورا كبيرا من خلال عملية انتقال "العدوى" بين الأقرباء والأصدقاء وأبناء العمومة في نفس العشيرة أو المدينة في حالة من التعاطف والتآزر، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في المدن العشائرية كالسلط ومعان والمفرق.

ووفقا لشهادات من يتبنون هذا التفكير فإن عملية التجنيد تمر بعدة مراحل وتخضع لمقاييس متعددة؛ في البداية تتم عن طريق العلاقات الاجتماعية، والتأثير الشخصي، ثم ينتظم القادم الجديد بحلقات دراسية يتم فيها تمرير مفاهيم هذا التيار ورؤيته الفكرية والموقف الرافض للوضع السياسي والاجتماعي العام، ثم تتم عملية إدماجه بالتنظيم بطريقة تدريجية، وتكون فترة الاعتقالات بمثابة الاختبار لصلابة الفرد وقدراته على التحمل، وإذا ما أثبت صلابة وجلدا تم التعامل معه بدرجة أعلى وإسناد مهام أخرى له، ومن بينها السفر للجهاد في الخارج، وهناك تنويع وتوزيع لجهود الأعضاء بين من يمتلكون ناصية البيان ومن ذلك العاملين في وزارتي التربية والتعليم والأوقاف، فيقومون بنشر الفكر في المساجد وبين الناس وبين الطلاب، وبين من لهم طبيعة متشددة وخلفية اجتماعية وسلوكية سابقة كشرب الخمر والانحراف الأخلاقي..الخ (بالمناسبة عدد ممن ينتمون إلى هذا التيار كانوا سابقا من هذا الصنف)، فهؤلاء يصعب السيطرة عليهم ولذلك يوجهون إلى ميادين الجهاد أو الصدام المباشر مع الأجهزة الرسمية.

أما إذا انتقل العضو إلى الخارج وشارك في الجهاد ثم عاد فسيكون في مرحلة متقدمة في التنظيم؛ إلاّ إذا كان موضع شك فتتم عملية التعميم عليه والتعامل معه بحذر، وهذه ظاهرة طبيعية في التنظيمات السرية التي تعتمد العمل السري والعسكري غير المعلن وغير الرسمي، يضاف إلى ذلك طبيعة تنظيم الموحدين وحالة الصدام التي دخل فيها على عدة مستويات عالميا ومحليا وإقليميا، وكل هذه وتلك من الظروف تفرض عليهم "الهاجس الأمني" بقوة، يضاف إلى ذلك دور المخابرات الأردنية وقدرتها -المشهود لها- على اختراق التنظيم، ووضع العيون القريبة عليه، ويروي عدد من أبناء التنظيم قصص اختراق المخابرات لخلايا التنظيم داخل الأردن وخارجه.

ما الذي يدفع أبناء التنظيم إلى الاستمرار فيه رغم كل الصعوبات وانسداد أفاق الفرص السياسية في كثير من الأحيان، وكيف يتجرءون على القيام بالعمليات المطلوبة رغم أنها في كثير من الأحيان تكون خطيرة وقد تؤدي بحياة صاحبها؟..

الجواب ببساطة هو "العقيدة" التي يعتنقها الأفراد والتي تقوم على أساس عدم الالتفات إلى الاستحقاقات [الدنيوية] والنظر فقط إلى الآخرة، واعتبار أن الاعتقال والابتلاء والشهادة هي سنة الماضين بهذا الطريق من الأنبياء والمرسلين والصالحين، وأن المواجهة حتمية بين أتباع الحق والتوحيد الخالص "عباد الله المخلصين" وبين أتباع الشيطان والباطل وجند الطاغوت، وليس مطلوبا من المؤمن أن يأتي بالنتائج، فالنتائج على الله، وقد يتجسد النصر بالثبات والصبر على الحق، ومن العبارات التي تعزز هذه الرؤية الثابتة

الراسخة التي تدرس عند هذا التنظيم عبارات سيد قطب في توضيح الطريق "ليس في هذا الطريق جاه ولا منصب ولا مال، في هذا الطريق دماء ودموع وجماجم"، فهو طريق يعرف من يأتي إليه ابتداء أنه طريق تراجيدي أليم لكنه – وفقا لأدبياتهم وخطابهم– هو طريق الجنة الوحيد!.

ونقتبس - هنا - من رسالة أحد الذين قُتلوا في كردستان بعث بها إلى أهله قبل استشهاده بفترة قصيرة، للتدليل على جزء من الأفكار السابقة التي يدرسها ويتعلمها أبناء التنظيم، يقول: "أبتاه إني اخترت هذا الطريق الذي فيه العزة فيه الكرامة، بعيدا عن الذل والاستعباد من أناس ليس في قلوبهم رأفة ولا مخافة من رب العزة".."أماه إني كرهت حياة الخنوثة والنوم، والراحة والدثة والنعيم، هذه الحياة التي لا قيمة لها ولا وزن ولا خير فيها إذا كان دين الله يحارب وأعراض المسلمين تنتهك، ونحن جالسون ننظر إلى كل هذا وهو يحدث أمام أعيننا والمسلمات يصرخن.."، "أحبتي إنه لابد أن نقدم ثمن الجنة في هذه الدنيا قبل أن يأتينا الأجل ونحن تائهون عن الطريق القويم، حتى وإن كان هذا الثمن هو أنفسنا وأرواحنا فإنه والله نعم البيع الذي نتاجه نصرة دين الله عز وجل".

للعودة للأعلى